Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمتبين من هذا الخبر أنه ﷺ حتى وهو جريح أضعفته جراحته يأتمر بأمر الله فى تدبير المعركة وهو على وعى تام بما يموج فيها من حوله فرأى ضرورة أن يهبط المشركون من أعلى الجبل حتى لا يعلوا على المسلمين وهذا العلو لنا أن ندرك منه علوا معنويا وآخر غير معنوي. فالمعنوى أنه لاينبغى للمشرك أن يكون أعلى درجة من المؤمن كما أن المسلمين حينما شغلوا عن الحرب بالغنائم تحين المشركون منهم ذلك وصعدوا إلى الجبل ليرموهم بالسهام وهذا ما أوقع الهزيمة بهم.

ومبلغ علمنا أن الشعراء لم يقولوا شعرا فى جرح الرسول وإن كنا لا ندعى أننا اطلعنا على كل ما قالوا فنحن نذكر ذلك متحفظين وإذا كان لنا أن نجتهد بالرأى فى تعليل ذلك إن المسلمين تأثموا من أن يقولوا شعرا يؤرخون به ما وقع له ﷺ. أما المشركون فما رأوا وجها للقول فيه لأنه على الحقيقة خدش ولم يجرح جرحا بليغا وهذا ما لا حاجة فيه إلى ذكر أن المسلمين بعد رجوعهم إلى المدينة من أحد صح منهم العزم على أن يعاودوا الكرة ويغيروا على المشركين، حتى يصدوا أبا سفيان عن المدينة، فقدم رجل من خزاعة على المشركين ويقول لهم إن محمدا قد خرج إليكم في جمع لم أر مثله وهم مغيظون. محنقون ثم أنشد:

كادت تهد من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

إنى نذير لأهل البسل ضاحية ... لكل ذى إربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش تنابله ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيد

ولما سمع أبو سفيان هذا من قول الرجل، رغب إلى قومه بالرجوع، فهذا الشعر يتضمن خبرا، وحسب إلا أن قائله كان متحمسا يقظا كل رغبته أن يقتنع قومه برأيه ويعملوا بمشورته ويأخذوا حدرهم من عدوهم، وهنا ندرك أهمية الشعر وعمق وقعه فى أعوار النفوس خاصة إذا كان غرض الشاعر أن يعلن عن أمر عظيم أو يحذر من خطر داهم، فلولا أن قال الرجل ما قال فى هذه الأبيات التى أنشدها لما ألقى أبو سفيان سمعا إليه ولا اكترث لما يقول، إنه كان نذيرا يتجه بالخطاب إلى المقاتلين ليلزموا جانب الحذر.